Reçu 5 Dec 1994

مكناس في 88-11-1994

الأخ عبد الغني

تحية رفاقية وبعد

كم كان بودي أن نجلس معاً ونتحدث باسهاب عن كل ما يتعلق بواقع ومستقبل حزبنا، ولكن مع الأسف حالت ظروفنا دون ذلك حتى الآن، وهكذا لم أجد من وسيلة أفضل للتعبير لك عن رأيي في بعض ما يهمنا سوى الكتابة! إنها وسيلة بدائية ربما ولكنها تتيح لي ضبط أفكاري نفسها وأتمنى أن نتمكن في فرصة قادمة من تعميق الحوار بيننا.

- إن أول نقطة أريد تعميق النقاش حولها هي ما عبرت عنه بضرورة "استرجاع الموقع النضالي لحزبنا" نظرا لما عرفه الحزب في الفترة الأخيرة من فتور ملحوظ في نشاطه التنظيمي والجماهيري. فلذا كان من السهل تفسير وتبرير هذا الفتور بالتعب والعياء الذي ترتب عن تعاقب المهام النضالية خلال ثلاث سنوات متتالية (معاطعة الاستفتاء والانتخابات الجماعية - معاطعة الانتخابات البرلمانية - المؤتمر) فإنه من الصعب إنكار وجود أزمة أعتبرها شخصيا أزمة تفوق في أمتها مع الانعكاسات السلبية الإيديولوجية ما كان يمثل نموذجا للإشتراكية، وعليه فنحن نمر بمرحلة شديدة التعقيد، غامضة الآفاق مترتب على التعامل الخاطئ معها نتائج خطيرة. لأن أي حزب لا بد له من مشروع سياسي/مجتمعي يسعى لتحقيقه وحزبنا وإن كان يتوفر على هذا المشروع فهو لا زال يعاني من عيب أو ضعف وسائل تحقيقه فلذا كانت اشكاليتنا سابقا هي "كيفية تحويل الإحباطات إلى تيار جماهيري للحزب" نورد منظم فإنها قد انقلبت الآن رأسا على عقب بحيث أصبح المطلوب هو خلق تيار جماهيري وازن حول "تنظيم طليعي"! مع العلم أن هذا التيار لا يمكن أن يتبلور إلا من خلال معارك نضالية جماهيرية يوجهها ويقودها هذا التنظيم.

- وبالنسبة للنقطة الثانية التي تشغل تفكيرك هي كيفية بناء وتوسيع العلاقات الخارجية للحزب نظرا لأهميتها الاستراتيجية، ولا أخفيك أنني صدمت خلال المؤتمر الرابع لحزبنا لحظور الهزيل للحركات الثورية والأحزاب التقدمية، وكما يعلم فحجم هذا الحظور يعد من مؤشرات نفوذ الأحزاب وقوتها. وقد تبين لي أن حزبنا لا زال في حاجة إلى تعريف به لدى مختلف القوى الديموقراطية والتقدمية في العالم خاصة وأنه أصبح يحمل اسما جديدا لم يكن معروفا به في السابق وهذا ما دفعنا داخل الكتابة أن نطلب من أحدكم صياغة ورقة معلومات تركيبية تتضمن محاور مختصرة عن تاريخ حزبنا، وإيديولوجيته وأهدافه واختياراته... الخ لتكون أداة اتصال وتواصل مع باقي الأحزاب الديموقراطية والتقدمية. صحيح أن وثيقة "الاختيارات الأساسية لحزب الطليعة" وثيقة هامة وتعكس بأمانة توجهات واختيارات حزبنا ولكن رغبة الكتابة كانت هي صياغة وثيقة مرجعية أكثر شمولا واستيعابا لقرارات وخلاصات المؤتمر الوطني الرابع (الجانب التاريخي مثلا لم يحظ بالعناية المطلوبة)

- وبالمناسبة وعلى ذكر تاريخ الحزب فإن جل المناضلين لا زالوا متعطشين ملتاعين لكتابة عن تاريخ الحزب وسيكون من الأفضل لو جمعت كل كتبت حول تاريخ الحزب في كتيب ليكون أداة عمل واستقطاب بين أيدي المناضلين (في غياب هذا الكتيب لجأ المناضلون الشباب إلى تقطيع وتجميع مقالاتك تلك وتصويرها على شكل وثيقة في عدة نسخ!)

- وأخيرا أنهي إليك تحية هذه الرسالة بمشروع دراسة حول الوضع الراهن، أتمنى أن تقوم بقراءتها وإبداء ملاحظاتك حول ما ورد فيها ويمكنك إرسال تلك الملاحظات إما بواسطة الفاكس إلى الأخ عبد الرحمان أو مباشرة إلى العنوان.

مع تحياتي الخالصة، على بعد طوله

[signature]

(1)

مشروع دراسة حول "الوضع الراهن والمهام المطروحة"

مقدمة منهجية:

- الوضع الراهن ليس لحظة مجردة أو منفصلة عما سبقها من أحداث وتطورات، بل هو نتيجة طبيعية لما حدث من تحولات وما طبق من اختيارات في مختلف الميادين .....
- الوضع الراهن هو أيضا حصيلة لتفاعل المؤثرات والضغوط الخارجية مع العوامل والتناقضات الداخلية (قد يصبح تأثير العامل الخارجي حاسماً في فترات معينة .....).
- ماهي إذن طبيعة الوضع الراهن على الصعيدين الوطني والدولي؟ ماهي التحديات الكبرى التي تواجه بلادنا وشعبنا في هذا الظرف؟ وبأية وسائل وطرق يمكن مواجهة هذه التحديات؟ وأخيراً ما هي طبيعة القوى الاجتماعية والسياسية المؤهلة لانجاز المهام المرحلية والاستراتيجية المطروحة على جماهير شعبنا؟

⇐ للإجابة على هاته الأسئلة وغيرها لا بد من القيام بتحليل عميق وتشخيص دقيق للمرحلة التي تمر بها بلادنا (كل قراءة غير علمية لطبيعة المرحلة تؤدي الى استنتاجات خاطئة وبالتالي تعامل خاطئ مع ما يجدّ من تطورات ومستجدات ..)

⇐ القراءة العلمية / الموضوعية للوضع الراهن تتوقف على مدى تطبيق المنهج العلمي تطبيقا خلاقا (أي على النظرة الشمولية والمتعددة الأبعاد ....)

I - ماهي ملامح وسمات الوضع الدولي الراهن؟

أ) لفهم ما يجري في العالم من تحولات لا بد من النظر الى العالم كوحدة يحركها الصراع والتناقض

⇐ هذا يعني أن كل ما يقع في جزء منه يؤثر سلبا أو إيجابا على الأجزاء الأخرى .....

⇐ التحولات الكبرى التي حدثت غيرت طبيعة الوضع الدولي (التحولات التكنولوجية + التحولات الاقتصادية والثقافية ⇐ تحولات سياسية جذرية = انهيار نموذج الاشتراكية السوفياتي)

⇐ الوضع الدولي الراهن وضع انتقالي = عدم الاستقرار وتداخل الفراغات .....

ب) ماهي السمات البارزة لهذا الوضع؟

⇐ فقدان مركز الثقل الوطني وشعوب العالم الثالث كحليف استراتيجي = تحول ميزان القوى لصالح المراكز الرأسمالية الامبريالية

⇐ التناقض بين شعوب العالم الثالث والمراكز الامبريالية برز الى المقدمة: انهيار النظام الدولي الذي قام بعد الحرب العالمية الثانية ⇐ دخول العالم مرحلة جديدة متميزة بالمخاض الصعب في العلاقات الدولية (احتدام الصراع حول العلم والتكنولوجيا والطاقة والاسواق و...)

⇐ التناقضات أخذت صيغ جديدة = لم يعد الصراع الايديولوجي بين الاشتراكية والرأسمالية هو المهيمن ولم يبق الاستقطاب استقطابا ثنائيا ⇐ تعدد المراكز والأقطاب

⇐ مجتمعات العالم الثالث أصبحت تواجه تحديات خطيرة (تحدي الحفاظ على سيادتها + تحدي تنمية اقتصادية مستقلة + التحدي التكنولوجي + التحدي الديموقراطي .....)

⇐ أدوات ووسائل تدخل المراكز الامبريالية في المجتمعات التابعة أصبحت أكثر تأثيرا وخطورة

- التدخل بواسطة صندوق النقد الدولي والبنك العالمي للتحكم في توجيه اقتصاد المجتمعات التابعة
- تحويل الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن الى أداة ردع وتأديب للدول الوطنية ..
- التدخل المباشر أو غير المباشر (تفجير التناقضات الاقليمية والداخلية لدول العالم الثالث)

⇐ المجلس الأمني والاطماع الاقتصادية والأهداف الاستراتيجية تدفع المراكز الامبريالية الى

التسابق على المواقع الاستراتيجية والمناطق الغنية بالثروات الطبيعية ....

3) الوضع الخاص للوطن العربي يجعله هدفا مباشرا ومغريا للمراكز الامبريالية الغربية (الموقع الاستراتيجي - الثروات الطبيعية - سوق شاسعة - امتداد تاريخي بالغرب (بعد ايديولوجي)

- انتهاء دور الانظمة الوطنية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي (الحرب والحصار ...)
- مرض حل اميبالي / طبيعي لقضية العرب المركزية : قضية فلسطين
- تكريس التبعية والتخلف (تغيير التناقضات الاقليمية والداخلية .....)

* أزمة حركة التحرر الوطني العربية وعجزها عن بلوغ أهدافها المعلنة (التحرر - الوحدة - الديموقراطية)

- أسباب هذه الأزمة ← الأسباب الموضوعية : ....

← الأسباب الذاتية : تغييب الديموقراطية ، ضعف الارتباط بالجماهير "الأحزاب القائدة" ، عدم الاعتماد على الذات ، غياب العقلانية في العمل السياسي ....

حاليا : ستعرف جل الأحزاب التقدمية العربية بالحيرة والضياع وغموض الأفاق ...

* انهيار المعسكر الاشتراكي أدى الى احباط ويأس قواعد وقيادات هذه الأحزاب :

← البعض حاول التأقلم والتكيف مع الوضع الجديد باستعادة الأطروحات الليبرالية أو واستبدال الاشتراكية العلمية بخليط ايديولوجي (ليبرالية ، قومية ، اسلام ....)

← الرد التقدمي الحقيقي = التجديد النظري والابتكار والإبداع في الممارسة ..

← التحولات الجديدة أدت الى اعادة طرح التساؤلات الكبرى على الفكر الاشتراكي

← ضرورة المقاربة الابداعية = تجاوز الأطروحات المتقادمة والتمسك بالأطروحات التي لازالت تحتفظ بأهميتها (تجنب التعامل مع النصوص كنصوص مقدسة كما يفعل رجال الدين = لا اجتهاد مع وجود النص !!) ← التناقض بين الاشتراكية والرأسمالية تحول ولم ينتهي ← ضرورة صياغة تصور جديد للتضامن النضالي بين الشعوب ←

II) الوضع الراهن في المغرب

* المغرب مثل باقي بلدان الجنوب لازال يعاني من تبعية شاملة ومطلقة في جميع الميادين (المالية والتجارية والصناعية والفلاحية والاعلامية ...)
* رغم طبيعة النظام وخضوعه يتطلع العرب في تعامله مع المغرب من موقعه على خدمة مصالحه الاقتصادية و تحقيق أهدافه الاستراتيجية (مثلا ، الموقف من الحراك المغربية ، الموقف من الصيد البحري ، الموقف من تصدير بعض المنتجات الفلاحية ، الموقف من الهجرة ، من صناعة النسيج ...الخ)
* الهاجس الأمني والمصالح الاقتصادية تدفع العرب وخاصة الاتحاد الأوربي الى ممارسة بعض الضغوط على النظام لادخال تعديلات واصلاحات من شأنها الحد من الهجرة وتجنب الإنفجار ←

1) الوضع الاقتصادي والاجتماعي في تأزم مستمر

أ- مظاهر الأزمة في الميدان الاقتصادي

- النظام الانتاجي نظام هش ومفكك (غياب الاندماج بين القطاعات الأساسية (الفلاحة والصناعة مثلا) وداخل كل قطاع نفسه ← وحدات الانتاج مرتبطة بالخارج أكثر من ارتباطها فيما بينها (ارتباط وحدات النسيج بالسوق الأوربية ..)
- أخطر المظاهر هي : حجم المديونية الخارجية (75٪ من الانتاج الداخلي الخام) وتفاقم العجز التجاري (تغطية الواردات للصادرات تصل الى 50٪ فقط سنة 1996)

- ضعف معدل النمو الاقتصادي (2,3% سنويا) مقابل ارتفاع النمو الديموغرافي (2,7% سنويا)
- ضعف الصناعة يجعل الاقتصاد المغربي [illegible] معتمدا أساسا على الفلاحة وبالتالي مرتبط بالمناخ...
- تراجع دور الدولة وبروز المجموعات الاحتكارية الكبرى يضاعف من تأثير الرأسمال الكبير (المغربي والاجنبي) على الحياة الاقتصادية ... (أنظر التقرير الاقتصادي)
- التوجه العام للسياسة الاقتصادية منذ بداية الثمانينات ← الاجهاز على الممتلكات العمومية (لدعم مواقع الطبقة السائدة) وتبذير الأموال العمومية وغياب أي مجهود تنموي ← سياسة تفقير منهجي! (مثلا الحيف الجبائي: بلغ مجموع الضرائب غير المباشرة (سنة 1994) 23 مليار مقابل 17 مليار للضرائب المباشرة (و 36% من هذه الأخيرة يؤديها الموظفون رغم قلة عددهم!)
← اعادة التوزيع في المغرب (la redistribution) أفقية وليست عمودية (أي لسنت بين الفقراء والأغنياء بل بين الفقراء وحدهم (غياب ضريبة على الثروة مثلا).

ب) مظاهر الأزمة في الميدان الاجتماعي

* ضعف نسبة السكان النشيطين (حوالي 30% من مجموع السكان) وارتفاع نسبة البطالة (فوق 40% من السكان النشيطين) ← أقل من 30% من السكان يعيلون أكثر من 70%
← الدور الأساسي للتضامن العائلي (11% من النساء يشتغلن!)
* تضخم عدد المواطنين الذين يعيشون تحت عتبة الفقر (حوالي 9 ملايين نسمة أي 60% من الأسر تنفق أقل من 7000 درهم سنويا أي أقل من 583 درهما شهريا بينما يقدر حاليا الحد الأدنى للعيشة حسب التقديرات الرسمية بـ 4400 درهم شهريا!
* أضعف دخل فردي في دول المغرب العربي حسب تقرير البنك الدولي: 960 دولار سنويا مقابل 1776 دولار بتونس.
* نصيب طبيب واحد لـ 17230 مواطن وممرض واحد لـ 1830 وسرير واحد لـ 724 وحوالي 25 خط هاتف لـ 1000 مواطن و 55 جهاز تلفزيون لـ 1000 مواطن
* عدد الوحدات الحرارية (les calories) التي يستهلكها المواطن المغربي (المعدل الوطني) لا تتجاوز 1700 وحدة حرارية في حين يصل المعدل العالمي الى 2500 وحدة في اليوم.
← سوء التغذية ← انتشار الأمراض ← ضعف الانتاجية والعجز عن تلبية الحاجات الأساسية
← فوارق اجتماعية هائلة: أعلى أجر يساوي أكثر من 70 مرة الحد الأدنى للأجور (في بلدان أخرى لا تتجاوز 12 أو 17 مرة)
← افلاس تام للنظام التعليمي (65% من السكان النشيطين أميون و 4 ملايين طفل محرومون من المدرسة، نسبة المسجلين بالتعليم الأساسي 51% فقط (سن 6 – 14 سنة)
الخلاصة: الأزمة تتفاقم وتستدعي اجراءات سريعة على المدى القريب ومخطط متكامل ومتكامل على المدى البعيد ولا يمكن تجاوز هذه الأزمة دون تغيير سياسي!

ج) الوضع السياسي

- اذا كانت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية قد وصلت الى هذا المستوى من الخطورة فهل يكفي تغيير حكومة بأخرى في ظل نفس الشروط الكفيلة لتجاوزها (أي الأزمة)؟
- ما هي الخلفيات الحقيقية التي دفعت قيادة المخزن الى دعوة أحزاب المعارضة الذيلية الى تكوين حكومة جديدة؟ وهل تستطيع هذه الأحزاب تحقيق شيء ما لصالح الجماهير الشعبية الكادحة؟

أ) مخطط الطبقة الحاكمة = تغيير الوجوه دون تغيير النهج

- التناقض الرئيسي بين الطبقة الحاكمة بقيادة المخزن و الكتلة الشعبية الكادحة سيظل هو محرك الصراع حول السلطة بأبعادها السياسية والاقتصادية والايديولوجية والاعلامية
- محور الصراع في المرحلة الراهنة = الديموقراطية بمطالبها الشمولية
- هاجس الطبقة الحاكمة = الحفاظ على استمرارية النظام وتقوية مناعته السياسية وخاصة ضمان الاستمرار في التحكم في جميع السلطات (السياسية و الاقتصادية و القضائية والاعلامية) وذلك من خلال : ← القضاء أو اضعاف الأعداء والخصوم الى أقصى درجة ممكنة
  ← تشتيت قوى المعارضة وحزب بعضها ببعض والتركيز على الاتجاهات الخطرية
  ← فرض السلم الاجتماعي بتطبيق سياسة الترغيب والترهيب
  ← ضمان ولاء مراكز القوى وتوسيع قاعدة الحكم = استقطاب نخب وفئات جديدة
  ← توظيف الانتخابات (وبالتالي المجالس) لتنفيس علاقات التوتر داخل المجتمع واضفاء الشرعية على الأمر الواقع وضبط حركة المعارضة ودمج جزء منها في النظام.
- تناقض مأزقي : الرغبة في التحديث الاقتصادي والإداري تتناقض مع محاربة التحديث على المستوى السياسي

ب) المعارضة السابقة وأطروحة التوافق التاريخي

- رهان المعارضة السابقة : إصلاح الدولة المخزنية من الداخل ! لماذا؟ وكيف؟
  ← فتح آفاق جديدة أمام الفئات الاجتماعية التي تمثلها (البورجوازية المتوسطة وجزء من الصغرى)
  ← توسيع القاعدة الاجتماعية لهذه الأحزاب واضعاف خصومها = استمرارية الوجود المؤثر..
- الوسائل : المشاركة في الانتخابات المزورة كدليل على الاستعداد للتفاهم والتوافق !
  - استعمال العمل النقابي والنضال الجماهيري كورقة ضغط لتحقيق أغراض سياسية ..
  - تركيز الخطاب على خطورة الأزمة وعلى ضرورة الاصلاح لتفادي الأسوأ.

خلاصة : هل يمكن فعلا اصلاح الدولة المخزنية من الداخل؟ وهل ميزان القوى الحالي وظروف المعارضة حالياً ما هي عليه يسمحان بتحقيق هذا الاصلاح ؟!

- الثغرة الأساسية لأطروحة التوافق تكمن في عدم طعنها في شرعية المؤسسات المزورة بل بالعكس تزكيها وتدعمها (الاستمرار في التواجد داخل هذه المؤسسات ينزع المصداقية عن الخطاب النقدي للمتواجدين فيها) .
- أي حكومة جديدة ولو كانت من المعارضة السابقة ستكون مرهينة للنظام ولشروط اللعبة .
- عمل أحزاب المعارضة السابقة يؤدي موضوعيا الى حزب التوافق الحقيقي : أي توافق جميع فئات الشعب الكادح حول الاختيارات الكبرى والموقف المبدئي بالقطع الفعلي مع المزورين.
- استرجاع الهوية التاريخية لحركة التحرر الوطني المغربية والعمل على توحيد طاقاتها النضالية حول موقف مبدئي غير قابل للتنازل : تحقيق السيادة الشعبية في التقرير والتنفيذ والمراقبة ..

ج) حزب الطليعة ومشروع البديل الديموقراطي والتحرري

- أطروحة التوافق التاريخي ليست خاطئة فحسب بل مضللة أيضاً (ظروف المرحلة الأخيرة للحماية تختلف جذريا عن الظروف الراهنة - المخزن كان أنذاك في موقع ضعف والآن هو المسيطر والمستبد بكل شيء - ... الخ) ← ترويج هذه الأطروحة تضليل خطير للجماهير والقواعد المناضلة...

د) ما هو بديل حزب الطليعة لأطروحة التوافق

- البديل الديمقراطي والتحرري لحزب الطليعة هو المشروع السياسي الوحيد الذي يستجيب لتطلعات وأهداف الأغلبية الساحقة من الشعب المغربي (أنظر التقرير السياسي للمؤتمر الوطني الرابع)
- وسيلة تحقيق هذا المشروع هي استمرار وتطوير النضال الديمقراطي حتى تتمكن الجماهير من تغيير ميزان القوى لصالحها.

- النضال الديمقراطي معناه: ← رفض اللعبة المخزنية وما يرتبط بها من مناورات وأنصاف حلول سلبية
← مقاطعة ومواجهة كل محاولة تستهدف تزوير الإرادة الشعبية
← ممارسة نضال طويل النفس في كل المجالات النقابية والحقوقية والسياسية

- ماهي القوى الاجتماعية والسياسية المؤهلة للخوض نضال طويل النفس ومتعدد الأشكال من أجل الديمقراطية؟ - كل القوى التي ترفض القبول بالأمر الواقع وتزكيته وتتبنى نفس الأهداف والمواقف التي يتبناها حزب الطليعة على المستوى المرحلي والمساهمة لممارسة النضال الديمقراطي كما هو مطروح أعلاه.

ج) ما العمل إذا تكونت حكومة من المعارضة القديمة؟

* مشاركة أحزاب المعارضة القديمة سيطرح على حزب الطليعة أعباء جديدة ومهام جسيمة
← لأول مرة سيصبح حزب الطليعة مفرده تقريبا في مواجهة الطبقة الحاكمة.
← قيام الأحزاب المخزنية بمعارضة الحكومة قد يضيف مزيدا من الخلط والغموض والتقييم على مواقف حزب الطليعة

* المطلوب هو أن يصبح حزب الطليعة القطب السياسي الموجه والمؤطر لمختلف الطاقات والفعاليات النضالية وهذا يتوقف على تحقيق الأهداف المرحلية التالية:
← وجود تنظيم فعال وديناميكي قادر على التواصل مع الجماهير في مختلف الظروف والمناسبات
← الوصول إلى الأجهزة القيادية في المنظمات الجماهيرية محليا وإقليميا ووطنيا.
← تطوير جريدة الطريق لتتمكن من القيام بدورها الإشعاعي والتعبوي والتحريضي
← دفع الفرز داخل قواعد أحزاب المعارضة القديمة وداخل النقابات باتجاه الحسم الإيجابي في المواقف والموقع السياسي (بناء الجبهة من تحت..)
← توسيع العلاقات الخارجية للحزب والتعريف به على نطاق واسع (التركيز على البعد الإستراتيجي...)
هذه الأهداف لا يمكن أن تتحقق الا على المدى المتوسط وربما البعيد وبعدا نجاز بعض المهام الأولية الظرفية، مثل:
- القيام بحملة توضيحية حول الرهانات الحقيقية للقوى السياسية (تنظيم مهرجانات وتجمعات وندوات ومحاضرات وعروض في المقرات الحزبية والقاعات العمومية)
- استكمال هيكلة الحزب على مستوى القطاعات والأقاليم (عقد المؤتمرات الإقليمية + عقد المجلس الوطني للتشبيبة - تفعيل اللجان القطاعية واللجن الوظيفية..)
- محاربة تجميد النضال النقابي والعمل الجماهيري (اصدار بيانات - متابعة عمل الأجهزة النقابية)

3) ماهي الصعاب التي تواجه حزب الطليعة في المرحلة الراهنة

- الصعاب الموضوعية: ← ضعف نسبة المأجورين (33,4% من السكان النشيطين) وخاصة ضعف نسبة المنقبين (حوالي 18% من المأجورين) ← ضعف النضال المطلبي ← ثلثي السكان النشيطين بعيدين عن كل تأطير نقابي أو سياسي أي بعيدين عن تأثير القوى التقدمية!
← كيف يمكن الوصول والتواصل مع ملايين المواطنين غير المأجورين

وخاصة عبر المنقبين الذين يشتغلون في عدة مهن غير قارة وغير منظمة والذين يظلون خاضعين للفكر التقليدي الشيء الذي يفسر الى حد ما انتشار التيارات الأصولية بينهم؟!

← بالاضافة لضعف نسبة المأجورين من بين السكان النشطين هناك الارتفاع الخطير لنسبة الأميين التي تصل الى 55% وضعف المستوى التعليمي (66% من المستغلين ليس لهم أي شهادة أو دبلوم!) ← صعوبة انتشار الفكر التقدمي

← ارتفاع الهجرة الى الخارج (حوالي مليوني مهاجر) يؤثر بدوره على القاعدة الاجتماعية لذلك أن ملايين من المغاربة يرتبط عيشهم بتحويلات أفراد عائلتهم ← هذه الملايين تتموقع اذن خارج أي نضال مطلبي وبعيدة عن التأثير السياسي للقوى التقدمية!

خلاصة: ضرورة ايجاد وسائل وأساليب تواصل جديدة مع الجماهير أكثر تأثيرا وفعالية ← الوسائل السمعية البصرية مثلا - تبسيط خطاب الحزب - .....

المصاعب الذاتية:

- ضعف الامكانيات المالية يشكل العرقلة الكبرى والأساسية سواء في تطوير الجريدة أو فتح مقرات جديدة أو ايجاد متفرغين ومساعدة المناضلين ضحايا القمع وتغطية التنقلات ومختلف المصاريف الضرورية للتسيير ← ضرورة التفكير في وسائل تمويل جديدة وقارة أو شبه قارة
- قلة الأطر الحزبية الذين يجمعون بين التكوين السياسي والايديولوجي والتكوين العالي في مجال تخصصهم ← ضرورة عقد دورات تكوينية لتأهيلهم وتطويرهم

خلاصة عامة

لا زال الحزب يمر بمرحلة مخاض شديدة التعقيد وغامضة الآفاق تحاول خلالها كل القوى السياسية الفاعلة اعداد نفسها لمواجهة كل الاحتمالات، وحزب الطليعة ولو كان يتوفر على مشروع سياسي مجتمعي طموح ومتقدم فهو لا يمتلك بعد وسائل تحقيقه وعليه فالمهام الأولية المطروحة على التنظيم الحزبي هي العمل من أجل امتلاك هذه الوسائل وفي مقدمتها خلق تيار جماهيري واسع حول الحزب مقتنع ببرنامجه ومساند لخطواته ومستعد للتعبئة من أجل انجاح المبادرات النضالية التي يقدم عليها

باريس في ١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٩٤

الأخ علي،
تحية رفاقية وبعد،

أشكرك على رسالتك وأعرب لك من جهتي كذلك على رغبتي في النقاش الرفاقي الحر والمسؤول لأنه غالباً ما يساعد على تعميق الأفكار وتبادل وجهات النظر وتعميق التعارف بين المناضلين والمسؤولين. ولقد تضمنت رسالتك بشكل مركز بعض القضايا ذات الطابع التنظيمي وأخرى تتصل بالتوجهات والأفكار العامة. وسأحاول من جهتي توضيح بعض جوانبها مع أنه يبدو لي مفيداً الرجوع إليها لاحقاً بشكل جماعي داخل الكتابة لاستكمال المعطيات وتوحيدها. وساعمل جهد المستطاع على زيارتكم قريباً وأتمنى أن تتاح فرصة اللقاء المباشر لمزيد من النقاش والتواصل.

ـ فيما يخص العلاقات الخارجية لا أخفيك أنني صدمت أيضاً بالحضور الهزيل للأحزاب والمنظمات التقدمية في مؤتمرنا الوطني الرابع. لكنني لا أرد ذلك مثلك الى أن حزبنا لم يكن معروفاً لدى تلك الأحزاب والمنظمات وأنه في حاجة الى التعريف بنفسه عبر وثيقة من الوثائق. لقد تحكمت في تحضير المؤتمر الوطني الرابع ظروف تعرفها أكثر مني، وتم توقيته لأسباب قاهرة على ما فهمت مع نهاية السنة وما يرافقها من احتفالات دينية وغيرها والتى ينشغل بها الأوربيون بنفس درجة انشغالهم بالقضايا الكبرى. وبذلك نكون قد سلمنا بعدم حضور عدد منهم.. وبدون الإطالة في هذا الموضوع أؤكد لك أن المسألة لا تنحصر في التعريف بحزبنا كما أشرت لأن كافة الأحزاب والمنظمات الموجودة في الساحة التقدمية تعرفه وتتوصل ببياناته وأخباره بشكل دوري متواصل منذ سنين خلت، وذلك بفضل المجهودات التى بذلها ويبذلها المناضلون هنا في ساحة المهجر بكل تواضع وتفاني. ولولا تلك المجهودات المتواصلة بإصرار لما تمكن حزبنا ـ وهو يمر من تلك المراحل المعقدة التى مر منها ـ من جلب عطف عشرات الجهات التقدمية وإقامة التظاهرات السياسية الكبرى في قلب البرلمان الأوروبي وبمساندة كل فرقه التقدمية بدون استثناء، ولما تمكن من إقامة علاقات رسمية مع الأحزاب الشيوعية العريقة وحضور مؤتمرتاها والمشاركة في حفلاتها الدولية، ولما تمكن أحد مناضليه من ولوج برلمان هولندا كرئيس فريق ... الخ. وهذه كلها مكتسبات لا سر فيها تنقل أصداءها جريدتنا باستمرار وتؤشر بشكل واضح على أن المسألة ليست مسألة التعريف بالحزب ولا إنجاز كراس من كراساته، كما تؤشر الى حجم ونوعية علاقات حزبنا وإشعاعه الخارجي الذى بناه المناضلون بمجهودات مظنية وإمكانيات محدودة: غياب قسم العلاقات الخارجية الذى تتوفر عليه الأحزاب الأخرى بلجانه المختصة في العلاقة مع كل بلد بلد ومتفرغيه وأجهزته وتجهيزاته ...

ومن هنا يمكننا أن نطرح سؤالا موضوعياً: هل العلاقات القائمة حالياً تعكس الحجم الحقيقي للحزب أم تفوقه؟ اذ أن مسألة حجم الحزب ونفوذه الجماهيري تلعب الدور الأساسي في تحديد حجم علاقاته الخارجية (كما أشرت في رسالتك) خاصة وأننا نتصور تلك العلاقات كعمل تنظيمي جماهيري تحديداً وليس كـ«اتصالات» أو مجالس صالونية. فبعد مرحلة التعارف والنقاش السياسي تطرح مباشرة مسألة البرامج العملية، فتقفز الى محك النقاش والالتزام الأسئلة العملية المرتبطة بها: ما هو حجم ونفوذ حزبكم في الساحة الجماهيرية؟ ما هي النقابات التى تتحكمون فيها وطنياً؟ كيف نتعامل معها رسمياً؟ ما هي المنظمات الجماهيرية والجمعيات التى نعمل على دعمها رسمياً عبر منظماتنا وجمعياتنا؟ كيف ندعم عملياً برنامجكم السياسي وما حظوظ ترجمته الى الواقع ونجاحه؟ من هم حلفاءكم من أجل هذا البرنامج وكيف ترون العمل المشترك على الصعيد الوطني؟

ويمكنك أن تتصور أن غياب الأجوبة العملية الملموسة على هذه الأسئلة يشكل عامل ضعف وردع في فتح العلاقة نفسها مع الأحزاب ذات النفوذ القوي، أو يضع سقفاً مسبقاً للعلاقة التى تصبح منحصرة في النقاش السياسي وتبادل الأخبار والمعلومات أو في حقل العمل المشترك تجاه قضايا الهجرة. ففي هذا العصر أصبحت كل العلاقات تقاس بمنظار القضايا العملية والمردودية وموازين القوى والمصلحة والاستفادة المشتركة بعيداً عن الطوباوية أو الدعم المبدئي اللامشروط. زد على ذلك أن كل الأحزاب الثورية والتقدمية بدون استثناء شيوعية كانت أم اشتراكية تعيش أزمات تحول حادة تنعكس في كافة مجالات عملها بما في ذلك مجال العلاقات الخارجية، وغالباً ما تصطدم مسألة العلاقة والدعم المتبادل معها بمقولة «فاقد الشيئ لا يعطيه» ...

في ظل هذه الظروف وقياساً بالإمكانيات المتوفرة، لم يتمكن حزبنا من التعريف بنفسه وحسب، بل تمكن من إقامة مستوى من العلاقات النوعية من حق كافة الأحزاب المغربية أن تحسده عليها... وهل معنى هذا أننا نرتاح لما هو موجود ونعتبر أننا نغطي مهمتنا بشكل مطلق؟ لا بل أن المطروح هو رسم خطة نضالية متجددة دينامية لبلوغ ما هو أفضل والنضال لأجل تحسين الواقع الحالي والتغلب على معوقاته، وذلك في إطار الخطة النضالية الحزبية الشاملة التى نطمح

إلى بلورتها بناء على تحليل الظرف تحليلا موضوعياً سديداً. بحيث تصبح العلاقات الخارجية واجهة من الواجهات النضالية تمارس بشكل جماعي تنظيمي وفق خطة حزبية محددة وليس فقط بناء على المجهودات والتضحيات الإرادية للمناضلين هنا في المهجر. وفي هذا الاتجاه بادرت شخصياً بطرح مشروع أرضية للعمل في هذا الميدان وعرضته على أعضاء الكتابة الوطنية منذ عدة شهور ولم أتوصل لحد الآن بأي رد أو جواب على الإطلاق. وبعد قرارات اللجنة المركزية الأخيرة والقاضية بضرورة تنشيط لجانها والنهوض بمهامها الوظيفية، فإنني عازم على استدعاء لجنة العلاقات الخارجية في أقرب الآجال لتحديد المسؤوليات بشكل واضح وتوزيع المهام ووضع منهج لمتابعتها، وبالتالي تنشيط العلاقات الخارجية للحزب وفق هيكلة تنظيمية متقدمة وطاقات وكفاءات متطورة، وخطة نضالية حزبية مرسومة بشكل جماعي ديموقراطي.

ـ وبالنسبة لمشروع الكراس حول نتائج المؤتمر الوطني الرابع، فلقد طرح علي هذا الموضوع في إحدى مراسلات الكتابة الوطنية حرفياً كالتالي: «وافقت الكتابة الوطنية على ما قدمته لجنة العلاقات الخارجية من تكليفكم بإعداد مشروع مركز حول مقررات المؤتمر الوطني الرابع بالعربية والفرنسية واذا اقتضى الأمر بالأنجليزية والاسبانية». فالمضمون اذن هو كراس حول نتائج المؤتمر وليس «ورقة معلومات تركيبية تتضمن محاور مختصرة عن تاريخ الحزب وإيديولوجيته وأهدافه واختياراته» كما ورد في مراسلتك. وكما ترى فإن البعد التاريخي (الذى اعتبرت في رسالتك أنه لم يحضر بالعناية المطلوبة) لم يكن وارداً على الإطلاق لا في مراسلة الكتابة الوطنية ولا فيما أبلغني به الإخوان المكلفين معي بالعلاقات. ولقد تساءلت وقتها عن إمكانية صياغة ملخص عن نتائج أشغال المؤتمر ـ وهذا شرف لي ـ رغم أنني لم أحضر أشغاله، وعلماً أن عدداً من تقاريره أحيل الحسم فيها على المجلس الوطني. ورغم ذلك أجبت بالموافقة على هذا الاقتراح أو «التكليفة» موضحاً أن إنجازه يتطلب وقتاً من جهة، ويستلزم الاطلاع على التعديلات التى توصلت إليها لجان المؤتمر من جهة ثانية، حتى أتمكن من الصياغة بناء على نتائج المؤتمر وليس المشاريع فقط، خاصة وأنني أجهل حجم التعديلات ومضمون أشغال اللجان. إلا أن طلبي هذا لم تتم الاستجابة إليه على مر الشهور والى يومنا هذا. ومع الدعوة لانعقاد المجلس الوطني اعتبرت أنه من واجبي انتظار نتائجه قبل الشروع في هذه المهمة. وراسلت الكتابة الوطنية بهذا الصدد بتاريخ ١٩ ـ ١٠ ـ ١٩٩٤ وشرحت أنني بمناسبة حفل لومانيتي قمت بإنجاز ترجمة لمقال «الاختيارات الأساسية لحزب الطليعة» لسد الثغرة فقط و«في انتظار إنجاز ما هو أشمل وأعمق بعد انعقاد المجلس الوطني» كما جاء في مراسلتي المذكورة. فوثيقة «الاختيارات الأساسية» لم يكن وارداً فيها الجانب التاريخي لأنها مجرد ترجمة لمقال سبق نشره على أعمدة الطريق (انظر المرجع المشار إليه في آخر الوثيقة) وهي لاتلغي ولا تعوض الكراس حول نتائج المؤتمر والذى سأنكب عليه بمجرد توصلي بنتائج المجلس الوطني. وحسب تجربتي فإن الجانب التاريخي لا يشكل أسبقية بمنظور العلاقات الخارجية خاصة بالنسبة لمخاطبينا الأساسيين الذين يواكبون تطوراتنا منذ سنين ويتعطشون أكثر الى أجوبتنا حول القضايا الساخنة، الايديولوجية منها والسياسية والتنظيمية، دولياً وعربياً وخاصة مغربياً.

ـ وفيما يخص طبيعة المرحلة، أتفق معك تماماً على أنها شديدة التعقيد وتحتاج فعلا لكثير من التأني والتبصر في ظل أزمة النمو التى يعيشها حزبنا، كما أن أي تعامل خاطئ معها قد يؤدي إلى نتائج خطيرة. و لا أخفيك أن الوعي بخطورة المرحلة تحديداً هو الذى دفعني الى طرح الاقتراح الذى عرضته على اللجنة المركزية بضرورة القيام بتحليل للظرف بشكل مدقق، بهدف صياغة خطة نضالية شاملة تناسب تلك المرحلة بدون إقحام ولا إجحاف، أي بدون تحميل المرحلة ما لا تحتمله وبدون ترك الحبل على الغريب والاستئناس بأزمة نمونا كذلك... وبعد اتفاق اللجنة المركزية على هذا الاقتراح شغلت بالي تبعاته العملية، لكنني كنت سعيداً بأن تبادر شخصياً داخل الكتابة الوطنية باقتراح نفسك لإنجازه ووضع ورقة عمل بصدده.

ـ وبالنسبة لإشكالية الحزب الأساسية أتفق معك على أنها أساساً إشكالية الفعل الجماهيري الواسع والوازن المرتبطة عضوياً بإشكالية التكتيك السياسي المرحلي السديد والقدرة على انتزاع زمام المبادرة وخوض المعارك النضالية وسط الجماهير كما ذكرت. وطالما لم يتحقق ذلك، فإن «التنظيم الطليعي» يبقى عبارة عن طموح لم نتمكن بعد من تحقيقه، لأن لا معنى للطليعة إلا بوزنها وتأثيرها الجماهيري وبرامجها القريبة والبعيدة. وبهذا الصدد أيضاً أعتقد أننا لا نتوفر على مشروع مجتمعي إلا في حدود المبادئ والشعارات العامة ولا زالت قضايا كبرى وحاسمة مطروحة أمامنا وأمام عدد من الأحزاب الثورية، يؤثر حلها في هذا الاتجاه أو ذاك تأثيراً أساسياً في المسيرة الحزبية، وهذه القضايا في أمس الحاجة الى أجوبة إبداعية لأن الأجوبة السابقة التى كانت سائدة في إطار «الفكر الشيوعي الرسمي السائد» منذ مطلع القرن تقادمت أوتجاوزها الظرف ومستجداته المتعاقبة... وتبدأ تلك القضايا عند المستوى الإيديولوجي نفسه وتمتد الى المستوى الاقتصادي وطرق بناء الاشتراكية في عصر التدويل والتداخل والثورة العلمية والتقنية، وتشمل التنظيم الاجتماعي المناسب لذلك، وطبيعة المرحلة الانتقالية التى تؤدي الى بناء الاشتراكية ... وقبل

هذا وذاك: التكتيك المناسب لكسب أغلبية قوى التغيير والتحالف معها لهزم تكتل القوى المحافظة الرجعية. وتزداد المسالة تعقيداً في بلدان العالم الثالث شبه المستعمرة وما تجتره من مخلفات الاستعمار المباشر والعهود الغابرة... وبقدرما أعتقد شخصيا بشكل راسخ أن المنهج الاشتراكي العلمي هو الأداة والطريق الوحيد لإيجاد الأجوبة السديدة على تلك القضايا والإشكاليات، بقدر ما أعتقد أن تلك الأجوبة لا توجد كاملة جاهزة في معالجات القرن السابق وبداية هذا القرن، أو فيما قالته أو لم تقله «الاشتراكية العلمية» وكأنها بقرآن أو وحي منزل (وحتى في هذه الحالة ما هي النصوص التي نعتمدها دون سواها لتحديد «عقيدة» الاشتراكية العلمية؟) وبالتالي فإن القول بأننا حزب طليعي يتوفر على مشروع مجتمعي وتبقى إشكاليته هي بناء تيار وازن حوله، قول يشتمل على جانب فقط من الحقيقة لأن الإشكالية الايديولوجية لا زالت قائمة في تصورنا لذاك المجتمع ولا زالت تحتاج الى المزيد من الكد والاجتهاد، كما أن مسالة التكتيك والتحالفات ولغة وطرق التواصل مع الجماهير من جهة والفئات الوسطى التقدمية في هذه المرحلة من جهة ثانية مسالة مطروحة بإلحاح ولا يكفي أن نتعامل معها بلغة «الطليعة» والاكتفاء بطرح مبادئنا وشعاراتنا الصحيحة لا محالة، بل لا بد لنا من إقامة تحالفات مرحلية للف أوسع قوى ممكنة حول أهداف المرحلة .... وخلاصة القول أننا لم نكتسب بعد صفة الحزب الطليعي، ولن نكتسبها الا بالتقدم الحثيث على كافة هذه الجبهات الايديولوجية والتكتيكية والتنظيمية والجماهيرية.

أخي علي: دخلت معك باب النقاش بشكل مباشر صريح وبلا مقدمات. فذاك طبعي، اذ أنني أمارس أسلوب الوضوح والصراحة والشفافية مع الجميع لأنه يقرب المسافات بين المناضلين الثوريين ويفتح باب التواصل الأخوي الصادق بلا حدود، إلا حدود المصلحة التنظيمية الحزبية.

مع أخلص التحيات النضالية الأخوية

(ملاحظة: تعودت على الكتابة المباشرة بالحاسوب، وليس بخط اليد.. فلا تعتبرها مني من «قلة الصواب»...)